دلعتْ السنا من النار حمرًا ويلَ من قد غدا جا ملحوسا
ترسل الموت من قنابلها كالشهب ذريًا مستأصلًا عتريسا
طالما باقتجارها اقلق البحر اقلاقًا مذكرًا عهد موسى

او نكرّر باقتخار قول الشاعر المصري الكبير حافظ افندي ابراهيم في الاسطول العثماني:

حيِّ يا مشرقُ اسطولَ الأولى ضربوا الدهر بسوط فاستقاما
ملكوا البرَّ فلمَّا لم يسعْ مجدهم نالوا من البحر المَراما
بجوارٍ مُنشآت كالدُمى ابنما سارتْ صبا البحرُ وهاما
كلما اوفت على امواجهِ سجدَ الموجُ خشوعًا واحتشاما
كان باليحر اليها ظمأٌ وعجيبٌ يشتكي البحر الأُواما
فهي في السلم جوارٍ تُجتلى تبهرُ العينَ رواءً ونظاما
وهي في الحرب قضاءٌ سابحٌ يدعُ الحصن تلالًا ورجاما
وهي بركان اذا ما هاجها هائج الشرّ عداءً وخصاما
فاتقوا الطَّود مكينًا راسيًا واتقوا الطود اذا ما الطودُ عاما
حملت حربًا فكانت حقبةً نُذُرًا للموت يجتاح الانامًا
خافيا العالم حتى اصبحت رسلًا تحمل أمنًا وسلاما

كنائس

النصارى في دمشق عند الفتح الاسلامي

نقلًا عن تاريخ دمشق لابن عساكر

راجعنا في اواسط الشهر المنصرم في مكتبة الملك الظاهر القسم الاوّل من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر فنقلنا عنهُ في ظهر الصفحة ١٧٣ (173) فصلًا كتبهُ في كنائس دمشق التي ابتناها المسلمون للنصارى بعد الفتح على يد خالد وابي عبيدة سنة ١٥ هجرية (٦٣٧ م) وها نحن نورده لافادته التاريخية مع المضرب عن بعض حلقات اسانيده واشرنا الى بعض الغلط فيها الكاتب او وجب اصلاحها لانَّ في هذه النسخة المطبوعة عدَّة اغلاط ل. ش

ذكر عدد كنائس اهل الذمَّة التي صالحوا عليها من سلف من هذه الملة

اخبرنا ابو محمَّد هبة الله بن الاكفاني (١) ... عن رجا بن ابي سلمة قال: انَّ عمر بن

(١) اطلب ترجمتهُ في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ed. Amedroz, p. 227)

عبد العزيز قال: انهُ كان في عهد دمشق خمس عشرة كنيسة. (قال): حدثني ابو مسهر قال: اقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنى (١ بطريقاً فاقرُّوا في منازلهم وكان لكل بطريق منهم بمنزلهِ كنيستهُ فاقاموا بها حيناً ثمَّ بدا لهم فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل فأقطعها قوم من اشراف دمشق بينهم بجدل (بجدل) وابن مدبح (كذا) العذري (173؟) وغيرهما فلمَّا ولي عمر بن عبد العزيز اخرج اولادهم منها وردَّها على الاعاجم فلمَّا مات عمر رُدَّت الى اولاد الذين اقطعوها

(قال) واخبرني... عن رجا بن ابي سلمة قال: خاصم النصارى حسَّانَ بنَ مالك الكلبي الى عمر بن عبد العزيز في كنيسة دمشق فقال لهُ عُمر: ان كانت من الخمسة عشر (كذا) كنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك اليها. قال ابن المعلى... عن ابن ابي حَمَلة قال: خاصمت العرب في كنيسة بدمشق يقال لها كنيسة ابن نضر (نصر) كان معاوية اقطعهم اياها فاخرجهم عمر بن عبد العزيز منها فدفعها الى النصارى فلمَّا ولي يزيد ردَّها الى بني نصر (٢

قال ابن المعلى: وقرأت كتاب سجل بن يحيى (٣ بن حمزة لتينك (كذا) نصارى قصَّة دمشق انهُ ذكروا لهُ انهُ سحر (كذا) بينهم وبين رئيسهم في دينهم وجماعتهم من اهل القرى وعتاقة العرب والعرب اختلاف وفرقة وانهم غلبوهم على كنائسهم وسألوا الوفاء بهم بما في عهدهم وكتابه الذي كتبهُ لهم خالد بن الوليد عند فتح مدينتهم فدعوتهم بحجَّتهم فاتوني (فاتوني) بكتاب خالد بن الوليد لهم فيهِ: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها اعطاهم اماناً لانفسهم ولاموالهم وكنائسهم لا تهدمهُ ولا تسكنهُ لهم على ذلك ذمَّة الله وذمة الرسول (الرسل) عليهم الصلاة والسلام وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين الَّا يعرض لهم احد الَّا بخير اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد هذا الكتاب يوم كُتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن ابي سفيان وابو عبيدة بن جرَّاح ومعمر بن غياث وشرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبيشة وعبد الله بن

١) كذا. ولعلَّهُ اراد: اثنا عشر
٢) اطلب فتوح البلدان للبلاذري (ص ١٢٣)
٣) كذا. وظنّ الصواب كما جاء في البلاذري: كتاب ابي مَسهر عن يحيى...

الحرث وقضاعي بن عامر . وكتب في شهر ربيع الاوّل سنة خمس عشرة ». فقرأت كتابهم فوجدتهُ خاصًّة لهم ومحصتُ (وفحصتُ) عن امرهم فوجدت فتحها بعد حصار ووجدت ما وراء حيطانها لرفعة الجبل ومن كثرة الرماح ونظرت في خرقهم (حرمتهم ؟) وظيفة عليهم خاصة دون غيرهم فقضيتُ لهم بكنائسهم حين وجدتهم اهل هذا العهد وابنـاء البلد بنكا (كذا) بلدًا ووجدتُ من نزاعهم لفيفًا طرقًا عليهم وذلك لو انهم اسلموا بعد فتحها كان لهم صرفُها مساجد ومساكن فلهم في آخر الدهر ما في اوّلهِ وقضيتُ لمن نازعهم بما كان لهم منهـا من خليَّة او ابنية او كنيسة : او كسوة او بناء او عرصة اضافوا ذلك اليها يُدفع ذلك اليهم باعيانهِ ان قُدر عليهِ او قيمة عدل يوم ينظر فيه شهدهُ (شهودهُ ؟)

عدد كنائس النصارى التي دخلت في صلحهم بدمشق خمسة عشر (كذا) كنيسة في قبلة المدينة كنيسة اليعقوص (كذا) وكنيسة بحضرة (كذا) وكنيسة المقسلاط وكنيسة بحضرة زين بن ابي حكيم وكنيسة بحضرة سوق الفاكهة وكنيسة بحضرة بني جلاح (كذا) وكنيسة مريم وكنيسة اليهود . وفي شام (شمال) المدينة كنيسة القلانس وكنيسة موحا (يوحا او يوحنا) التي بنيت مسجدًا وكنيسة حميد ابن درَّة وكنيسة بحضرة دارا بن زرناق وكنيسة الصلبة

ومما وجدت كنيسة بناها ابو جعفر المنصور لبني قطيطاني الفوريق (كذا) . ومما وجدت ايضاً كنيسة البيّاد . اما كنيسة العيقوس (كذا) فهي التي كانت خلف الحبس الجديد يدخل اليها من الاكافين (؟) التي هي اليوم من سوق على الدرب الذي فيه اقين حمام الاكافين ومن درب السوسي قد بقي من بنائهـا بعضهُ وقد خربت منذ دهرًا (كذا) . واما كنيسة المقسلاط فخربت ايضاً وقد كان بقي من قناطرها وعمدها بعضها فنُقلت احجارها فأُدخلت في العمارات واما التي عند زين بن حكيم فهي التي في رأس درب القرشي وهي صغيرة بعضها (173) باقي الى اليوم وقد تشعَّث . واما التي بسوق الفاكهة فكانت في دار سطح فخربت . واما التي بحضرة دار بني جلاح فهي التي كانت في درب بني قضرس (كذا) درب الحبّالين ودرب التسيمي وادركتُ من بنائها بقايا خربت اكثرها . واما كنيسة مريم فمعروفة باقية واكبر ما بقي من الكنائس . وكنيسة اليهود عند الخير باقيـة وقد كانت

لهم كنيسة اخرى في درب البلّاعة لا ذكر لها في كتاب الصلح جُعلت مسجدًا. واما كنيسة مريض (١ فكانت غربيّ القيساريّة الشرقيّة (كذا) خربت وادركتُ من بنائها بعض الاساس الحسنة . واما كنيسة يوحا (يوحا) فهي الجامع . واما كنيسة (٢ فكانت في موضع دار الوكالة فخربت واما كنيسة وحا (يوحا) فهي الجامع المعمور اليوم بقي لهم بصفة كنيسة الى ان اخذها الوليد بن عبد الملك كما تقدّم. واما كنيسة حميد (بن) درّة فهي باقية الى اليوم وقد اخربت اكثرها في درب حميد وحميد هو بن عمرو بن مساحق القرشي العامري وامّهُ درّة بنت (كذا) ابي هاشم ثم خال معاوية بن ابي سفيان وهو ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة كان الدرب اقطاعنا لهُ اقطاعاً لهُ فنُسبت الكنيسة اليهِ وهو مسلم. واما الكنيسة التي عند دار ابن زرناق فهي المعروفة اليوم بكنيسة اليعاقبة في نواحي باب توما بين وحبة خالد ابن اسيد بن ابي العاص وبين طلحة بن عمرو بن مرّ الجهنيين. واما الكنيسة المصلّبة فهي باقية لهم الى اليوم بين باب الشرقي وباب توما قرب القنطاس (كذا) عند السور وقد خربت اكثرها وبعد ذلك هُدمت بعد الثمانين. واما الذي كانت أُحدثت في الفرديق فهي التي جعلت مسجدًا عند درب ويستي اليوم مسجد الجنيق. واما كنيستا العبّاد فهما اللتان احداهما عند دار ابو (كذا) الماشي وقد جُعلت مسجدًا والاخرى التي في راس درب النعاشين قد جُعلت مسجدًا

(المشرق) فمن هذه الكنائس الخمس عشرة التي عدّدها ابن عساكر لم تُعرف اليوم غير كنيسة يوحا وهي كنيسة مار يوحنّا التي اتخذها الوليد بن يزيد كالجامع الكبير المعروف اليوم بالجامع الاموي. وغير كنيسة مريم او الكنيسة المريمية قيل ان عمر بن عبد العزيز اعطاها النصارى تعويضًا عن كنيسة مار يوحنّا فانتقلوا بناءها وعادوا فعمّروها مرّة اولى بعد خرابها سنة ٦٥٨ه (١٢٦٠ م) ثمّ مرّة ثانية بعد ان اخربها تيمورلنك سنة ١٤٠٠ ثم ثالثةً بعد حرقها سنة ١٨٦٠ وهي كنيسة الروم الارثدكس حاليًا. اما بقيّة الكنائس فلم يبقَ منها اثر في عهدنا الّا ان الكتبة كالطبريّ وابن القلانسيّ والبلاذري ذكروا كنيسة توما وكنيسة المتلاط وكنيسة اليعاقبة وغيرها ممّا بادَ ذكرهُ

---

١) ولعلّهُ البريص كما ورد في البلاذري (ص ١٢٢) واستشهد ببيت لوعلة الجَرْمي

٢) هنا بياض في الاصل